العرب
الإثنين 2020/03/23
السنة 42 العدد 11655

كوميديا مغربية يتبادل فيها السيد والخادم الأدوار

«فكها يا من وحلتيها» فودفيل يعري الخداع في المجتمع المغربي

مسرحية "فكها يا من وحلتيها" من العروض الكوميدية التي قدّمت في الموسم المسرحي الجديد 2020 لمسرح محمد الخامس بالرباط من تقديم فرقة مسرح الحال. مسرحية من نوع الفودفيل شدت انتباه الجمهور أينما عرضت، لاتساقها وتعريتها للزيف والخداع في بعض الفئات الاجتماعية المكابرة.

خداع مزدوج ينتهي إلى طريق مسدود

فيصل عبدالحسن
كاتب عراقي

الرباط – يحلم "علولة" بالعمل بالتمثيل في السينما والثراء السريع، ويعيدنا إلى ماضيه عبر ديالوغ في بداية مسرحية "فكها يا من وحلتيها" (جدْ حلا للمشكلة بعد أن عقَّدتها). حكى فيه علولة الذي مثل دوره أحمد الشركي عن نزوحه من قريته البعيدة إلى الدار البيضاء، وقد وعد أمه أنه لن يعود حتى يصبح ممثلا مشهورا وغنيا.

بذل البطل العديد من المحاولات للعمل كممثل كومبارس في إحدى الفرق المسرحية الشعبية بالدار البيضاء، مجانا وعلى أمل أن ينال الشهرة أولا، ولكن الفشل كان نصيبه.

العرض اتسم بنقد لاذع للمتسلّقين الذين يبنون حياتهم على الأكاذيب، لأجل الظفر بما لا يستحقون

وشعر وهو في العاصمة الاقتصادية الواسعة بالضياع، أنه كان مُخطئا بترك قريته الوادعة، إذْ لم يعبأ أحد في الدار البيضاء بموهبته في التمثيل. ولم يوافق أحد على تشغيله بأي عمل آخر، فقد كان لا يملك أي مهارة. وبعد معاناة مريرة عطف عليه أحدهم، وقدّمه إلى أم عبدالمعطي رجل الأعمال المعروف، ليعمل خادما في فيلتها. ومن هناك استطاع علولة أن يكسب ودّ السيدة الكبيرة، فأوصت ولدها، قبل وفاتها أن يعامله كأخ له، وليس كخادم، وألا يطرده من خدمته لأي سبب.

و"فكها يا من وحلتيها" من تمويل وزارة الثقافة والشباب والرياضة المغربية، وتأليف عزيز موهوب، وإخراج عبدالكبيرالركاكنة، وتمثيل، نزهة عبروق، هند ضافر، عبدالكبير الركاكنة، أحمد الشركي، سينوغرافيا عبدالصمد الكوكبي، والإدارة التقنية لحسن المختاري. وعرضت المسرحية في العديد من المدن المغربية، كالقصر الكبير ومولاي إدريس زرهون والحاجب وتطوان وأرفود وغيرها.

مغامرات عاطفية

اتسم العرض بطرح قضايا اجتماعية، ونقد لاذع للمتسلقين، الذين يبنون حياتهم ومستقبلهم على أكذوبة "أنهم أثرياء" لإيهام من ارتبطوا معهنّ بعلاقة، أنهم أفضل العرسان المرشحين للاقتران بهنّ.

وتذكّر المسرحية بمسرح الفودفيل الفرنسي، وكوميديات كلاسيكية شهيرة تعود إلى القرن السابع عشر، كـ"المتخاصمون" لراسين، و"السيِّد" لكورني، و"مدرسة الأزواج" لموليير وغيرهم.

تتصاعد الأحداث في المسرحية، المؤلفة من مجموعة مفارقات ضاحكة عاشها "عبدالمعطي"، صاحب الشركات والمقاولات والذي مثل دوره عبدالكبير الركاكنة، وخادمه علولة، الذي لا يملك شيئا غير عمله كخادم عنده، لكنه يتأثر كثيرا بسلوك مخدومه، ومغامراته العاطفية، وكذبه على من يعرفهنّ، فيحاول تقليده.

مثّل عبدالمعطي بسلوكه رجل الأعمال الكسول، الذي لا يحتاج إلى أحد ويتصرّف على هذا الأساس مع الجميع. وواحدة من مشاكله اليومية تعدُّد علاقاته النسائية، وفي الوقت نفسه يخطط للزواج من "زكية" التي جسدت شخصيتها على الخشبة هند ضافر، ابنة شريكه الغني، ليستحوذ على نصيبها في الشركة، طامعا بالملايين التي ستدرُّها عليه هذه الزيجة.

تتصل "منى"، مثلت دورها نزهة عبروق التي تعرف عليها علولة بالدار البيضاء، وأوهمها بأنه ممثل سينمائي ناجح، ويعيش في "فيلا" واسعة، ويملك عقارات ورثها عن عائلته. وكانت منى من الطامحات بالاقتران برجل مشهور وغني كعلولة فلم تفوّت الفرصة، وطلبت منه عنوان فيلته، وعندما زوّدها به، قالت له إنها قادمة إليه خلال ربع ساعة.

سيّدة الدار

توسّل علولة لسيِّده عبدالمعطي أن يعيره الفيلا لربع ساعة فقط، ليقابل فيها منى، لئلا تكتشف كذبه، وحين رفض سيِّده ذلك. لمّح له أنه سيكشف علاقاته النسائيّة لخطيبته زكية فتفشل زيجته، وتضيع عليه الملايين التي كان يأمل بها.

يزداد رفض سيِّده في المشاركة بالكذب على الفتاة، ولكن علولة لم ييأس، وذكّره بوصيّة والدته له، وكيف طلبت منه أن يكون أخا له وليس خادما. فوافق على مضض وعندها طلب منه أن يزوّده بملابس من دولاب ملابسه، وباروكة لتغطية صلعته. كما طلب منه أن يعلمه طريقة مشي رجال الأعمال، وأن يأخذ هو دوره، وملابسه القديمة، ليبدو أمامها كخادم له.

تتعمّق الأزمة حين تصل منى إلى الفيلا، فيكتشف عبدالمعطي مقدار جمالها، ويُعجب بها فورا، ممّا جعل الصراع يحتدم بين السيّد وخادمه في الخفاء حولها، ومن دون أن تنتبه منى لهذا الصراع الخفيّ، الذي سبّبه جمالها بين الرجلين.

وسرعان ما يكتشف عبدالمعطي حدَّة وصرامة هذه الفتاة الجميلة، التي ما أن سألها عن اسمها، وهو بملابس الخادم، مقتربا منها بتودّد، أجابته بجفاء "ما عرفتني؟ أنا مولاة الدار؟" (أنا سيّدة الدار).

وما أن جاء علولة بملابس سيِّده، والباروكة تغطي صلعته، حتى بدأت تعامله كما لو كانت زوجته، كما أنها طلبت منه أن يهبها إحدى سياراته الخمس، وطلبت منه أن يسجّل الدار باسمها كمهر لها، بعد أن يعمل لها إصلاحات ضرورية. وازدرت ذوقه الهابط لاختياره السيء لأثاث فيلته.

وأخذت تتعامل بعصبية مع الرجلين، ممّا جعلهما يخشيانها، وينفّذان ما تطلبه منهما، حتى لا يثيرا غضبها، وطلبت من عبدالمعطي أن يجمع الأثاث في "كارتونات" لغرض نقلها إلى بيتها، للحفاظ عليها خلال فترة إجراء التصليحات للفيلا. وتسبّبت منى في تحطم جهاز التلفاز، الذي استورده عبدالمعطي من ألمانيا بثمن غال.

وبدا لعبدالمعطي أنه أوقع نفسه بمشكلة حقيقة، بموافقته على تبادل الأدوار مع خادمه، وكلما أراد أن يكشف لمنى من هو الخادم الحقيقي، توسّل إليه علولة ألا يكشف سرّه لمنى.

وازداد موقف عبدالمعطي حرجا حين اتصلت به خطيبته زكية وأخبرته أنها قادمة لزيارته. ولكي لا تكتشف زكية وجود منى، فتسيء الظن به طلب من علولة أن يخبر منى بأن خادمه عبدالمعطي أخبر خطيبته بأنه غني، وأن هذه الفيلا هي من أملاكه الكثيرة، وخطيبته، قادمة بعد قليل، وعليها هي وعلولة أن ينزلا إلى الطابق السفلي، لكي لا تراهما وتكتشف كذبه عليها.

وبعد عناد قصير، وأخذ ورد وافقا، وهبطا إلى الطابق السفلي، وعندها استقبل عبدالمعطي خطيبته، زكية ومن خلال حوارهما معا عرف منها أنه الخطيب الثالث لها، فالأول تركته لأنه لا يبالي بها، والثاني تركته لأنه غيور، وعرف أيضا من خلال وصفة دواء أعطتها له ليجلب خادمه لها الدواء من الصيدلية، فيكتشف أن الورقة تقرير عن حالتها الصحية العقلية، وعرف منها أنها كانت نزيلة مستشفى الأمراض العقلية لسنتين وشهرين.

وعندها تظهر منى وبصحبتها علولة، وهو يحاول منعها من فضح عبدالمعطي، فقد كانت تنوي فضحه أمام خطيبته، والتوضيح لها، أنه مجرّد خادم لدى خطيبها علولة، وقد كذب عليها. ولكن زكية تخبرها أنها تعرف أن علولة هو الخادم، وأن عبدالمعطي هو صاحب الفيلا، وما قالته زكية لمنى في نهاية المسرحية للتعبير عن أنها كانت مخدوعة من الرجلين "أنت من كانت مقلوبة عليها القفة (أنت المخدوعة)، ولست أنا".

كورونا تحول دون الاحتفال بيوم المسرح العالمي

عواد علي
كاتب عراقي

من المؤكد أن المسرحيين في العالم لن يحتفلوا هذا العام بعيدهم، الذي سيمر يوم 27 مارس، كما كانوا يفعلون كل عام. والسبب طبعا هو فايروس "كورونا" اللعين، فقد انتشر انتشار النار في الهشيم، كما يقال، وأشاع الهلع في كل أرجاء المعمورة، وأوقف جميع الفعاليات الإنسانية ذات الطابع الجماعي والكرنفالي، الثقافية منها والرياضية والاقتصادية.

أي حزن سينتاب ممارسي المسرح وجمهوره في هذا اليوم؟ هل سيظلون قابعين في بيوتهم، مكتفين بتبادل التهاني عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وربما من خلال الهواتف النقالة؟

بالطبع لن يكون بمقدورهم أن يفعلوا غير ذلك، بينما كانوا في السنوات السابقة يهنئون بعضهم بعضا في قاعات المسارح، وعلى خشباتها، وفي الحفلات وصالات الرقص، معبّرين عن سعادتهم وتطلعهم إلى الارتقاء بفن المسرح، بوصفه واحدا من أعرق الفنون وأعظمها، وأهم جزر المصداقية الإنسانية.

فهو ينحّي جانبا كل شيء يفرّق بين البشر، ويدعم كل ما هو مشترك بين الناس، ويكشف عن القلب الذي يشتركون فيه، ممّا يجعله أفضل وسيط للسلام، كما يقول المخرج الفرنسي جان لوي بارو. والمكان النموذجي الذي يتأمل فيه الإنسان شرطه التاريخي والوجودي معا، كما يقول سعدالله ونوس. والتجربة المفعمة بالنبل من خلال إعطاء مساحة الأداء والاهتمام بقيمة خشبة المسرح، والسعي لتحويلها إلى خشبة مقدسة تعطي طاقة، حيوية، وتعبئة بشرية لعدم السقوط في الهاوية، كما يقول الكاتب المسرحي الباكستاني شهيد نديم، الذي كتب رسالة يوم المسرح العالمي للعالم الحالي 2020.

في السنوات الماضية كانت المسارح تفتح أبوابها، خلال هذا اليوم المميز، في 92 بلدا تنتمي إلى المعهد الدولي للمسرح "I.T.I"، وهو أكبر منظمة للفنون المسرحية في العالم، لاستقبال الجمهور من دون تذاكر. وتنظم مراكزه الوطنية احتفالات وعروضا مسرحية تُلقى خلالها الرسالة العالمية للمسرح، وتُعقد ندوات ولقاءات مباشرة بين فناني المسرح ومحبيهم وأصدقائهم من الأوساط الثقافية والاجتماعية الأخرى.

وولد يوم المسرح العالمي في يونيو 1961، إثر مقترح قدّمه رئيس المعهد الفنلندي للمسرح الناقد والشاعر والمخرج أرفي كيفيما إلى منظمة اليونسكو، وجرى الاحتفال الأول به في 27 مارس 1962 في باريس تزامنا مع افتتاح مسرح الأمم. واتفق على أن يكون تقليدا سنويا يتمثل بأن تكتب إحدى الشخصيات المسرحية البارزة في العالم، بتكليف من المعهد الدولي للمسرح، رسالة دولية تترجم إلى أكثر من 20 لغة، وتُعمّم إلى جميع مسارح العالم لتُقرأ خلال الاحتفالات التي تُقام لهذه المناسبة، وتُنشر في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية.

وكان الكاتب الفرنسي جان كوكتو أول شخصية اختيرت لهذا الغرض في احتفال العام الأول بباريس. وتوالت على كتابتها، منذ ذلك العام، أكثر من خمسين شخصية مسرحية من مختلف دول العالم، منها أرثر ميلر، لورنس أوليفيه، بيتر بروك، بابلو نيرودا، يوجين يونسكو، أدوارد ألبي، سعدالله ونوس، فتحية العسال، أريان منوشكين، سلطان القاسمي، روبير لوباج، أوغستو بوال، أناتولي فاسيليف، إيزابيل هيوبرت.

المسرح يسدل ستارته في يومه العالمي

وأخيرا شهيد نديم، الذي أكّد في رسالته أن "عالمنا اليوم يكثر فيه التعصّب والكراهية العنف، وتحرّض الأمم بعضها على بعض، المؤمنين يقاتلون المؤمنين، المجتمعات تبث الكراهية، الأطفال يموتون من سوء التغذية، الأمهات يمتن أثناء الولادة بسبب عدم وجود رعاية طبية جيدة، وأيديولوجية الكراهية تزيد وتزدهر، ويغرق كوكبنا أكثر وأكثر تحت مناخ كارثي من الحروب، المجاعات، الموت.. نحن بحاجة في هذه الأيام لتجديد قوتنا الروحية، ومحاربة اللامبالاة، والخمول، والتشاؤم، والجشع، ومن يتجاهل عالمنا الذي نعيش فيه".

ولعل من أكثر الرسائل التي كُتبت لهذه المناسبة إثارة للجدل، طوال نحو ستين عاما، هي رسالة يوجين يونيسكو التي كتبها عام 1976، فقد كشف فيها بجلاء عن مسألة الرقابة، ما جعل بعض الدول غير الديمقراطية تمنع قراءتها، ودعا إلى إيجاد الحقيقة في المخيلة، اعتقادا منه بأن مسرح المخيلة هو مسرح الحقيقة الطبيعية، وهو وثيقة طبيعية، وليست ثمة وثيقة أمينة طول الوقت أو حرة لسبب بسيط، هو أنها منحرفة لكي تخدم غرضا معينا. وأن المخيلة لا يمكن أن تكذب فهي تميط

الفايروس اللعين أشاع الهلع في كل أرجاء المعمورة، وأوقف جميع الفعاليات الإنسانية ذات الطابع الجماعي والكرنفالي

اللثام عن نفسيتنا، وعن الهموم الدائمة أو العابرة، وعن اهتمامات الإنسان في كل العصور وفي عصرنا الراهن، وعن عمق الروح الإنسانية.

كما ذهب يونسكو في رسالته إلى أن الفنان المهدّد في حرية تخيلية يصبح منفيا، فالمسرح هو تركيب حر للمخيلة، والفن لا يعرف حدودا، وعلى المسرح ألاّ تكون له حدود، إنه يتخطى الخلافات الأيديولوجية والأجناس والأعراق والنظرة الإقليمية والفردية، ويجب عليه أن يكون دولة عالمية، لا أوامر على المبدعين فيها ولا تعليمات من الحكومات.

لكن هل كان بوسع يونسكو أن يقول مثل هذا الكلام لو أنه حي الآن، ويرى كيف يتخطّى فايروس قاتل، وليس المسرح، الحدود بين الدول، رغم كل التدابير التي تتخذها الدول للحيلولة دون انتشاره؟